

بين النهرين: منطقة بين نهري دجلة والفرات، تقع إلى الشمال والشمال الغربي من بغداد، يُسمّيها العرب الجزيرة، ويُطلق الاسم توسيعاً على المنطقة التي تحدّها جبال زاغرس من الشمال الشرقي، وأطراف شبه الجزيرة العربية من الجنوب الغربي، وتمتدّ من الخليج الفارسي في الجنوب الشرقي حتى مارتفاعات آنتي - طوروس<sup>1</sup> في الشمال الغربي [سمّي اليونانيون هذه المنطقة للمرة الأولى باسم مسوبوتاميا<sup>2</sup> (بين النهرين)].

فقط بالقرب من بغداد، يتحول دجلة والفرات إلى نهرين توأمين، أي "رافدين" لشطّ العرب، وكان مسيراًهما في حالة تغيير مستمر طيلة الألuries الماضية. منطقة بين النهرين، في جنوبـي الرمادي (على بعد حوالي 110 كلم غربي بغداد) الواقعة على ضفة الفرات ومنعطف دجلة في الأسفل من سامراء (على بعد حوالي 110 كلم إلى الشمال - الشمال الغربي من بغداد) أرضٌ مستوية غـرينية. يبلغ الفرق في ارتفاعها عن سطح البحر من بغداد حتى فوهة اروندرود [نهر ارونـد]، حوالي عشرة أمـتار. في أقصـاهـا، ناحـيـة تضمـ مستـنقـعـات ومقـاصـيبـ واسـعـةـ تـسـمـيـ "الأـهـوارـ". مـعـدـلـ المـيـاهـ المـوـجـوـدـةـ غـيـرـ مـنـظـمـ نـتـيـجـةـ لـعـدـلـ الـحرـارـةـ الـمـرـفـعـ، وـقـلـةـ الـمـتـسـاقـطـاتـ الـجـوـيـةـ، وـالـأـرـاضـيـ سـهـلـيـةـ، صـلـبـةـ وـجـافـةـ، وـغـيـرـ صـالـحةـ لـلـزـرـاعـةـ عـلـىـ الـأـقـلـ لـمـدـدـةـ ثـمـانـيـةـ أـشـهـرـ سنـوـيـاـ. لـذـلـكـ إـنـ الزـرـاعـةـ، الـيـةـ كـانـتـ قـدـ بـدـأـتـ عـلـىـ مـاـ يـبـدـوـ فـيـ الـأـلـفـيـةـ الـعـاـشـرـ قـبـلـ الـمـيـلـادـ، فـيـ الـمـنـاطـقـ الـمـرـفـعـةـ، وـالـمـعـرـضـةـ لـهـطـولـ الـأـمـطـارـ، وـفـيـ التـالـلـ مـاـ بـيـنـ النـهـرـيـنـ الـطـبـيـعـيـةـ، بـدـأـتـ عـلـىـ مـاـ يـبـدـوـ فـيـ بـلـادـ مـاـ بـيـنـ النـهـرـيـنـ الـمـرـكـزـ الـحـقـيقـيـ لـلـحـضـارـةـ، حـيـثـ اـبـتـكـرـتـ وـسـائـلـ اـصـطـنـاعـيـةـ لـلـرـيـ، وـجـرـتـ الـمـيـاهـ إـلـىـ الـأـرـاضـيـ الشـاسـعـةـ مـنـ خـلـالـ شـبـكـةـ وـاسـعـةـ مـنـ الـأـهـارـ. الـرـيـ وـاسـتـغـالـلـ الـأـرـاضـيـ، جـعـلـ بـلـادـ مـاـ بـيـنـ النـهـرـيـنـ الـجـنـوـبـيـةـ دـيـارـاـ عـامـرـةـ، تـغـذـيـ عـدـدـ كـبـيـرـاـ مـنـ السـكـانـ. وـتـالـيـاـ تـلـقـفـ سـكـانـ جـنـوـبـيـ بـلـادـ مـاـ بـيـنـ النـهـرـيـنـ الـحـضـارـةـ الـيـةـ كـانـتـ قـدـ اـنـطـلـقـتـ فـيـ الـأـلـفـيـةـ الـرـابـعـةـ قـبـلـ الـمـيـلـادـ مـنـ شـمـالـيـ بـلـادـ مـاـ بـيـنـ النـهـرـيـنـ، وـأـقـامـواـ فـيـ تـلـكـ الـدـيـارـ الـمـدـنــ الـدـوـلـ، مـثـلـ إـرـيـدـوـ<sup>3</sup>، وـأـورـ<sup>4</sup>، وـلـارـسـاـ<sup>5</sup>، وـلـاغـاسـ<sup>6</sup>، وـنـيـبـورـ<sup>7</sup>، وـأـكـادـ<sup>8</sup>، وـبـابـلـ.

بلاد ما بين النهرين غـنـيـةـ بـالـمـنـتـجـاتـ الـزـرـاعـيـةـ وـالـحـيـوـانـيـةـ، وـالـشـرـوـةـ السـمـكـيـةـ، وـبـسـاتـينـ النـخـيلـ، وـالـصـنـاعـةـ الـمـرـتـبـطـةـ بـالـمـقـاصـبـ؛ أـمـاـ الـخـشـبـ وـالـحـجـارـةـ وـالـمـعـادـنـ، فـنـادـرـةـ الـوـجـودـ، أـوـ غـيـرـ

<sup>1</sup> - Anti- taurus

<sup>2</sup> - Mesopotamia

<sup>3</sup> - Eridu

<sup>4</sup> - Ur

<sup>5</sup> - Larsa

<sup>6</sup> - Lagash

<sup>7</sup> - Nippur

<sup>8</sup> - Accad; Akkad

موجودة أصلًا؛ وتالياً كانت بلاد ما بين النهرين الجنوبيّة منذ البدء، بلاًدًا تجاريّة. من خصائص هذه البلاد، استخدام الصلصال في الآثار المعماريّة والفنية، كما أنّ الكتابة على الألواح الطينيّة من العلامات الفارقة في هذه الديار.

احتضنت بلاد ما بين النهرين لغاتٍ وثقافاتٍ وحضاراتٍ متنوّعة، وتعاقبت عليها العصور، وكانت تفتقد الوحّدة الجغرافيّة الحقيقية، والأهمّ من كلّ ذلك أنّها لم تكن ذات عاصمة دائمة. لقد اشتهرت حضارة ما بين النهرين بالكثرة والتنوع؛ وقد أثّرت هذه الحضارات ببعضها البعض؛ فتأثيرات الحضارات السومريّة القديمة في الحضارة الأكاديّة، ونفوذ ملوك السلالة الثالثة في أور، الوراثة للحضارة المركبة السومريّة- الأكاديّة في الربع الأوّل من الألفيّة الثانية قبل الميلاد أمر محسوس. تغلّلت حضارة ما بين النهرين في عصور الختنين، ابتداءً من العام 170 ق. م، في مناطق واسعة من الأناضول. كان للبابليّين مساهمة عظيمة في علم الرياضيات وعلم الفلك. ازدهرت النظريّات القانونيّة وتجدرت في العصور الأولى من هذه الحضارة، ودُوّنت في عدّة مجموعات من الأحكام القانونيّة المسمّاة باسم مدوّنة القانون أو الشريعة، أشهرها شريعة حمورابي.



مؤسسة الطبوغرافيا

خريطه بلاد ما بين النهرين التاريخيّة

ابتداءً من عشرة آلاف سنة قبل الميلاد، إلى حين ظهور المواطن الكبّرى الدائمة، يمكننا تعرّف المراحل التكوينيّة التالية في بلاد ما بين النهرين، التي استمرّت بعضها بموازاة الأخرى: تغيير نمط الحياة البدويّة، أو العبور من التغيير الدائم أو الفصليّ لمكان السكن، الذي كان من السمات المميّزة للصيّادين ولجماعات الرعاة الأولى، إلى العيش في موضع واحد لعدّة سنوات، أو حتّى على نحو دائم؛ العبور من الزراعة التجاريّة للنباتات، إلى الزراعة العمليّة والمدروسة للغلال؛ بناء المساكن، وتالياً "نصب" الآلهة في المعابد؛ دفن الأموات في المقابر؛ ابتكار الأوّعية الفخاريّة، التي كانت تُصنع أوّلاً بالأيدي، وبعد ذلك صُنعت بواسطة الدوّلاب، ثمّ زُخرفت؛ تكوين حرف متخصّصة، وتوزيع العمل؛ إنتاج المعادن.

الموطنان الزاويان تسمى وشيندر المجاوران الواقعان في الشمال الغربي من راوندوز، يعودان إلى المرحلة الانتقالية من الألف العاشر إلى الألف التاسع قبل الميلاد. على حدود التلة الطبيعية في ما بين النهرين، في قلعة جرمو، الواقعة في شرقى مدينة كركوك، يمكننا متابعة عصر يمتد تقريرًا إلى ثلاثة آلاف سنة. من المرجح أن يكون هذا الوطن قد ظهر إلى الوجود منذ حوالي 6750 سنة قبل الميلاد.

قررتا حسونة (بالقرب من الموصل) وتل الصوآن (بالقرب من سامراء)، هما أقدم القرى المكتشفة حتى الآن في سهل ما بين النهرين، وتعودان إلى حوالي ألف سنة بعد ذلك. كانت قرية تل الصوآن تقع في جنوبى حدود الزراعات المروية بالمطر، وهي تالياً، كانت تعتمد حتمًا على نوع من الري - تعتمد على جر المياه من دجلة - وتزودنا بتاريخ يصبح بعده الإسكان في الأجزاء الجنوبيّة من بلاد ما بين النهرين الجنوبيّة أمراً ممكناً.

من أكثر المواقع ملائمة لتنوع التقدّم في وسائل التجارة وأدواتها من خلال الطرق المائية، لا سيما السرعة المتزايدة في التقدّم المعماري في هذه المنطقة، هي مدينة إريدو، التي كانت طيلة العصور التاريخية مركز أتباع الإله السومري إنكى<sup>1</sup>. يُحسب معبد إريدو عادة الأنموذج الأول للمباني الدينية في العصر البابلي المتأخر، أي الزيقورات. وصل التطور المعماري في بناء المعابد الكبيرة في إرك<sup>2</sup> [اوروك<sup>3</sup>/إرخ، المدينة السومرية القديمة] إلى أوجه تقريرًا في أواخر الألفية الرابعة وأوائل الألفية الثالثة قبل الميلاد.

كما أن الهوية القومية لأهالي بلاد ما بين النهرين غير معروفة، لا تتوافر معلومات أيضًا عن التنظيم الاجتماعي للمواطن قبل التاريخ. في دراسة إحدى القرى، لا يمكننا بأي وجه من الوجوه استنتاج أي أمر حول "الدولة"، أو أي علاقة بما هو فوق الناحية، والذي من الممكن أن يكون تحت سلطة مركبة واحدة.

من بين أهالي بلاد ما بين النهرين، فضلاً عن السومريين، فإن أقدم الشعوب التي يمكن تعين هويتها من خلال الآثار المكتوبة، أو الكتابات الموجودة في المباني؛ الشعوب السامية (الأكاديين أو أسلافهم)، والسوباريين<sup>4</sup> (أسلاف، أو أقارب المورياتيين، الذين ظهروا في أواخر الألفية الثالثة قبل الميلاد في شمالي ما بين النهرين)، الذين لا نعرف شيئاً عن ماضيهم، ولا عن مسارات هجراتهم المحتملة.

<sup>1</sup> - Enki

<sup>2</sup> - Erech

<sup>3</sup> - Uruk

<sup>4</sup> - Subarians

في نهاية الألفية الرابعة، وبداية الألفية الثالثة قبل الميلاد، تنتهي مرحلة ما قبل التاريخ، ونصل إلى عتبة المرحلة التاريخية، المنعكسة في الآثار المكتوبة. يُنسب أول نظام كتابة إلى السومريين. يرى المؤرخون عادةً أنَّ بداية التاريخ موازيةً لظهور أولى الآثار المكتوبة التي يمكن الاستفادة منها، وبناءً عليه، لا يصح إطلاقه إلا على قسم من بلاد ما بين النهرين، أي الجنوب، ومنطقة ديانة، وسوزيان، وقسم الفرات الأوسط. ظهور المدينة هو أهمَّ تقدُّم، حصل طيلة الألفية الرابعة قبل الميلاد. المقصود بالمدينة، مكان السكن الذي يقوم بدور المركز بالنسبة إلى عدَّة إلى مواضع أخرى، ويوجد فيه معبد أو أكثر يعود إلى إله أو عدَّة آلهة رئيسيَّين، وفيه مخازن غلال واسعة، وأخيرًا صناعاته اليدوية متخصصة كليًّا.

أقدم المدن المعروفة في جنوبِيِّ ما بين النهرين هي: إريدو، وإرك، وبَدَ - تيَبِيرَا<sup>1</sup>، ونبيور، وكيش. وضَّحت الدراسات، كيفية التغيير التدريجي في عدد المواطن، وحجمها النسبيّ، بشكل عام قلَّ تعدادِ المَوَاطِن الصغيرة أو الشديدة الصغر، وزاد عدد المَوَاطِن الكبيرة. يمكن مشاهدة أوضاع الأدلة على تشكُّل المدن في أوروك، والزيادة التي لا تُصدِّق في حجم أبنيتها. من الطبقة السادسة حتى الرابعة في أوروك مبانٌ مستطيلة أبعادها  $83 \times 52$  م، عُثِر فيها على أوانٍ لا تُحصى متماثلة حجمًا، من غير المستبعد أنَّ إنتاجها الضخم كان هدف توزيع المؤن اليوميَّة. هذا الأسلوب أقدم أمْنُوذج للنظام الذي كان سائداً لعدَّة قرون في المدن الجنوبيَّة من بلاد ما بين النهرين: إطعام قسم من السُّكَّان من خلال تخصيص الطعام من جانب الحكومة.

من بين الدول - المدن المتعددة في بلاد ما بين النهرين، أددت كيش بشكل عامًّا منذ البداية دوراً رئيسيًّا. بعد العام 2500 قبل الميلاد كان حُكْمَ بلاد ما بين النهرين الجنوبيَّة يَدُعون دائمًا الحكم على شماليِّ بابل أيضًا، ويسمُّون أنفسهم ملوك كيش.

إنَّ تاريخ 2350 قبل الميلاد نقطة تحول في تاريخ ما بين النهرين لعدَّة أسباب. لأول مرَّة تُنوجد في ما بين النهرين إمبراطوريَّة، كانت القوَّة المحرَّكة لها الإمبراطوريَّة الأكادية، نسبة إلى مدينة أكاد، التي اختارها سارْغُن عاصمة له، وصار اسم "بلاد سومر وأكاد" اسمًا لبلاد ما بين النهرين.

جورج رو، بين النهرين القديمة، طهران 1990م، تخطيط مؤسسة الطوبوغرافيا  
خريطة بلاد ما بين النهرين الطبيعية

في نهاية الألفية الثالثة، كانت بلاد ما بين النهرين، كحالها في العصور السابقة، متنوعة من الناحية العرقية. كان العنصر الأكادي هو الغالب، كما كان المتكلمون باللغة الأكادية كذلك أكبر نسبياً من أصحاب اللسان السومري. يرى بعض المحققين أنَّ الإشارة إلى السومريين والأكاديين في ذلك الزمان بشكل عام غير صحيحة، لأنَّ السومريين كانوا على الأقل مدة ألف سنة يعيشون في جنوبِ ما بين النهرين، من دون أيَّ صلة بالشعوب التي تجمعها بهم قرابة متحملة، في حين أنَّ السكان الساميين تحدَّدت حياهم من خلال البدو الذين تحضروا. أمَّا الآموريين فهم المجموعة السكانية الثالثة، التي حظي بعض أفرادها في عهد السلالة الثالثة في أور بمناصب ديوانية رفيعة، أمَّا عامتهم فقد كانوا يعيشون حياة بدوية، على شكل قبائل مختلفة، والهوريائيون كانوا يشكلون المجموعة العرقية الرابعة الأساسية، وكانت لهم مكانتهم في شمالِ ما بين النهرين، وفي ضواحي كركوك الحالية.

في تاريخ ما بين النهرين، كان أقول سلالة أور الثالثة حدثاً، توجد في كل مرحلة لاحقة أخرى جزئيات وتفاصيل أكبر حوله: القحط وهجوم العيلاميين وحلفائهم الآخرين من القبائل الإيرانية، الذين احتلوا أور وهدموها.

في العصور البابلية القديمة، حين سقطت السلالة الثالثة في أور، استقرَّ إيشي أرَا<sup>1</sup> في إيسين<sup>2</sup>، وأسس فيها سلالة استمرَّت من العام 2017 حتى العام 1794 قبل الميلاد؛ وهذا حدثة أيضاً حكم المدن الأخرى المحليون - مثل دير، وإشنوتا، وسippar<sup>3</sup>، وكيش، ولارسا - كان هنالك ميلٌ لتقليل أنموذج أور في عدد كبير من هذه المدن. كانت إيسين من بين العدد الكبير للدول - المدن التي كانت تظهر ببطء، تحظى بالسلطة الأرفع مدة قرن تقريباً.

على العكس من جنوبِ ما بين النهرين، أو منطقة الفرات الأوسط (ماري<sup>4</sup>)، فإنَّ المصادر المكتوبة في أور لا تبدأ قبل السلالة الثالثة. كانت منطقة أشور تقع في الأراضي المشرفة

<sup>1</sup> - Ishbi- Erra

<sup>2</sup> - Isin

<sup>3</sup> - Sippar

<sup>4</sup> - Mari

على نهر دجلة **شمالـي** مجرى هذا النهر، بين مرتفعات جـبل حـمرـين [بارـما<sup>\*</sup>] وصولـاً إلى المنطقة الواقـعة شـمالـي نـينـوى، وكذلك النـاحـية الـوـاقـعة بين نـهـرـي الزـاب الأـصـغر والـزـاب الأـكـبر، والأـراضـي الشـمـالـيـة من هـذـه النـاحـية. أـمـا مـدـقـها الرـئـيـسـيـة فـهـي: آـشـور، وـنـينـوى، وـأـربـيلـوم<sup>1</sup> (أـربـلا<sup>2</sup> فـي ما بـعـد، وـأـربـيلـ حـالـيـا). كـانـ الأـشـورـيـون كـمـاعـصـرـيـهـم فـي جـنـوبـيـ ما بـيـنـ النـهـرـيـنـ يـعـمـلـونـ فـيـ النـجـارـةـ. وـكـانـ آـشـورـ مـلـدـةـ مـنـ الرـمـانـ مـحـاذـيـةـ حـدـودـاً لـبـابـلـ حـمـورـاـيـ (حـوـالـيـ الـعـامـ 1792ـ 1750ـ قـبـلـ الـمـيـلـادـ). بـعـدـ ذـلـكـ اـنـفـصـلـتـ مـارـيـ عـنـ بـلـادـ آـشـورـ، وـنـالـتـ اـسـتـقـلـالـهـاـ. وـفـيـ نـهاـيـةـ المـطـافـ فـتـحـ حـمـورـاـيـ مـارـيـ وـهـدـمـهـاـ.

فـيـ الإـمـيـراـطـوـرـيـةـ الـبـابـلـيـةـ الـقـدـيـمـةـ، كـانـ حـمـورـاـيـ أـشـهـرـ شـخـصـيـةـ سـيـطـرـتـ عـلـىـ المـدـنـ الـعـدـيدـةـ فـيـ بـلـادـ ماـ بـيـنـ النـهـرـيـنـ الـجـنـوـيـةـ. بـعـدـ أـنـ خـلـعـ الـخـيـرـيـونـ آـخـرـ مـلـكـ بـابـلـ عـنـ الـعـرـشـ، اـسـتـلـمـ الـكـاسـيـوـنـ فـيـ الـعـامـ 1595ـ قـبـلـ الـمـيـلـادـ زـمـامـ الـأـمـوـرـ فـيـ بـابـلـ. فـيـ أـوـاـخـرـ الـأـلـفـيـةـ الـثـالـثـةـ قـبـلـ الـمـيـلـادـ، دـخـلـ الـهـوـرـيـاـئـيـوـنـ مـدـارـ حـضـارـةـ الـشـرـقـ الـأـدـنـيـ؛ وـقـدـ جـاـوـرـاـ مـنـ شـمـالـيـ أـوـ شـرـقـيـ بـلـادـ ماـ بـيـنـ النـهـرـيـنـ. لـمـ يـصـلـ عـصـرـ الـهـوـرـيـاـئـيـيـنـ إـلـىـ أـوـجـ اـزـدـهـارـهـ قـبـلـ أـوـاسـطـ الـأـلـفـيـةـ الـثـانـيـةـ تـقـرـيـباـ. فـيـ الـقـرـنـ الـخـامـسـ عـشـرـ قـبـلـ الـمـيـلـادـ كـانـ الـهـوـرـيـاـئـيـوـنـ يـشـكـلـوـنـ أـرـقـىـ وـرـبـمـاـ أـضـخمـ مـجـمـوعـةـ سـكـانـيـةـ فـيـ الإـمـيـراـطـوـرـيـةـ الـمـيـتـانـيـةـ<sup>3</sup>. ظـهـرـتـ دـيـارـ الـمـيـتـانـيـيـنـ بـعـدـ الـعـامـ 1500ـ قـبـلـ الـمـيـلـادـ بـقـلـيلـ بـالـقـرـبـ مـنـ مـنـابـعـ نـهـرـ الـخـابـورـ. وـقـدـ اـكـتـشـفـ عـدـدـ مـنـ مـوـاطـنـهـمـ فـيـ بـلـادـ ماـ بـيـنـ النـهـرـيـنـ. فـيـ الـعـامـ 539ـ قـبـلـ الـمـيـلـادـ اـحـتـلـ قـوـرـشـ الـأـخـامـيـنـيـ بـلـادـ ماـ بـيـنـ النـهـرـيـنـ. وـقـدـ ظـلـلـتـ بـابـلـ فـيـ هـذـاـ الـعـصـرـ، عـلـىـ الـعـكـسـ مـنـ آـشـورـ دـيـارـاـ غـنـيـةـ. فـيـ الـعـامـ 331ـ قـبـلـ الـمـيـلـادـ قـرـرـ الإـسـكـنـدـرـ الـمـقـدـونـيـ، بـعـدـ أـنـ فـتـحـ إـيـرـانـ، أـنـ يـجـعـلـ بـابـلـ إـحـدـىـ عـوـاصـمـهـ، وـشـرـعـ فـيـ إـعـمـارـهـاـ وـإـنـشـاءـ الـمـبـاـيـ فـيـهـاـ، لـكـنـ سـرـعـانـ مـاـ بـيـنـ مـدـيـنـةـ سـلـوـقـيـةـ عـلـىـ ضـيـقـةـ نـهـرـ دـجـلـةـ، وـجـعـلـهـاـ عـاصـمـتـهـ الـجـدـيـدـةـ.

فـيـ الـقـرـنـ الـأـوـلـ قـبـلـ الـمـيـلـادـ تـوـجـهـ الـأـرـمـنـ إـلـىـ بـلـادـ ماـ بـيـنـ النـهـرـيـنـ، لـكـنـ الـبـارـثـيـنـ رـدـوـهـمـ عـلـىـ أـعـقـابـهـمـ. بـعـدـ ذـلـكـ سـيـطـرـ الـرـوـمـانـ فـالـسـاسـاـنـيـوـنـ عـلـىـ بـلـادـ ماـ بـيـنـ النـهـرـيـنـ، وـبـعـدـ اـنـتـصـارـ الـمـسـلـمـيـنـ عـلـىـ السـاسـاـنـيـيـنـ دـخـلـتـ هـذـهـ الـمـنـطـقـةـ فـيـ حـيـاضـ الـعـالـمـ الـإـسـلـامـيـ (لـلـلـاطـلـاعـ عـلـىـ تـارـيـخـ الـمـرـحـلـةـ الـإـسـلـامـيـةـ → الـعـرـاقـ<sup>\*</sup>؛ اـبـنـ عـمـرـ، جـزـيـرـةـ<sup>\*</sup>؛ الـمـوـصـلـ<sup>\*</sup>؛ دـيـابـكـرـ<sup>\*</sup>؛ الـبـصـرـةـ<sup>\*</sup>؛ الـكـوـفـةـ<sup>\*</sup>).  
/مـسـتـلـ مـنـ (بـرـيـتـانـيـكـاـ)/

<sup>1</sup> - Urbilum

<sup>2</sup> - Arbela

<sup>3</sup> - Mitanni

بينالود. سلسلة جبال في الشمال الشرقي من إقليم خراسان. تتدّ من الناحية الشمالية الغربية- الجنوبية الشرقية من قضاء وناحية سرولايت في محافظة نيسابور، حتى ناحية جلغه رُخ في محافظة تربت الحيدرية، بطول 125 كيلومتر (رمز آرا، مج 9، ص 430؛ الجعفري<sup>1</sup>، مج 1، ص 126). تتصل من الشمال الغربي بجبال آلاداع (تّمتة سلسلة جبال ألبُرُز)، وهي في الواقع تّمتة لها (جغرافية إيران الكاملة، مج 1، ص 602). تتوسّط سلسلة جبال بينالود، جبال بارو باميسوس<sup>1</sup> (التابعة لهندو كش) وجبال ألبُرُز، ولها من هذه الناحية أهميّة خاصة. هذه المنطقة (سلسلة جبال بينالود وآلاداع وبشت كوه) منطقة زلزال، معروفة للهزّات الأرضيّة (إيرانيكا، المادة نفسها). على سبيل المثال، ضربت هزّة أرضيّة في العام 1267هـ منطقة سرولايت بشدة. في العام 1288هـ تقدّمت مدينة قوشان بالزلزال، وكذلك في العام 1311هـ. في هذا الزلزال الأخير، تعرضت ضواحي أترَك العليا المكتظة بالسكان، ومنطقة سرولايت إلى أضرار فادحة، فسالت القنوات، وظهرت في الأرض تشققات وصل عمقها من خمسة إلى ثمانية أمتار (أمير سر وملوبل، ص 189، 195).

تُعد سلسلة جبال بينالود، الحدود الطبيعية لمحافظة نيسابور ومشهد، ويقع في أطرافها الجنوبية قضاء بينالود. لسلسلة الجبال هذه عدّة قمم، أعلىها قمة بينالود، ذكرت بعض المصادر أنَّ ارتفاعها حوالي 3211م، وذكرت مصادر أخرى أنَّه 3350م. تقع قمة شيرباد وارتفاعها التقريري 3200م وقمة زَرَغران حوالي 3100م جنوبية قمة بينالود (الجعفري<sup>1</sup>، مج 1، ص 126؛ الخريطة الطبيعية والسياسية للجمهورية الإسلامية الإيرانية؛ كيهان، مج 1، ص 195).



قدرت الله كسرائيان، جبال إيران، طهران 1376هـ.

بينالود (أواخر الخريف) نيسابور

تصبّ ينابيع جنوبية بينالود بشكل أساسٍ في نهر كالْ شور، وينابيع شماليّ هذه الجبال في نهر كَشَف (الجعفري<sup>1</sup>، م. ن، ص. ن). دون حمد الله المستوفى<sup>1</sup> أيضًا في القرن الثامن الهجري<sup>1</sup> معلومات عن النهر الفائض المياه الذي ينبع من هذه الجبال، وأضاف: "على الجانب

الشماليّ، على قمة الجبل نبعٌ على بعد خمسة فراسخ، يُطلق عليه اسم النبع الأخضر، ويخرج منه ماء حلو أخضر" (ص 148 - 149).

تقع مدينة قدمكاه [موطئُ القدم] في حنوبِي بينالود ومدينة طربه في شمالِي، تُعتبر حادّة طهران - مشهد من سفحه الشماليّ (كيهان، مج 1، ص 46)، والطريق الحديدي طهران - نيسابور - مشهد من آخر القسم الجنوبي الشرقيّ منه، وحادّة سبزوار - قوشان تُعبر مرتفعته. ذكر ابن حوقل أنَّ الناس في عصره (القرن الرابع الهجريّ) كانوا يعبرون للذهاب من نيسابور إلى طوس مشاهَة الشّعب الذي تقع نيسابور في وسطه، صعوداً، فيصلون إلى طوس (ص 453 - 454). وصف بارتولد هذه الحادّة القديمة أنَّها بين سلسلة جبال بينالود (ص 131). يُستخرج من جبال بينالود، لا سيّما من قرية معدن (في قضاء بارمعدن)، حجر الفيروز (رزم آرا، مج 9، ص 401؛ المديريّة الجغرافية للقوّات المسلّحة للجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانية، مج 32، ص 415). تُوجَد في هذه الجبال أيضًا مناجم معدن الكروميت (جغرافية إيران الكاملة، مج 1، ص 643). وردت في كتاب حدود العالم (يعود تاريخ تأليفه إلى القرن الرابع الهجريّ) معلومات أيضًا عن مناجم الفيروز والتحاس والرصاص في ناحية طوس، مطابقة للموقع الجغرافيّ لجبال بينالود (ص 90).

**المصادر والمراجع:** ابن حوقل، كتاب صورة الأرض، ط. كرامرس، ليدن 1967؛ نيكولاوس أميرسز وشارلز ملويل، تاریخ زمین لرزهای ایران [تاریخ الهزّات الأرضیّة في إیران]، ترجمه بالفارسیّة أبو الحسن رده، طهران 1370ش [1991م]؛ فاسیلی فلاڈیمیروفیتش بارتولد، تذکره جغرافیای تاریخی ایران [التذكرة الجغرافية التاریخیّة لإیران]، ترجمه بالفارسیّة حمزه سردادور، طهران 1358ش [1979م]؛ عباس جعفری، گیتاشناسی ایران، ج 1: کوهها و کوهنامه ایران [طبوغرافية إیران، مج 1: الجبال الإيرانية وأسماؤها]، طهران 1368ش [1989م]؛ جغرافیای کامل ایران [جغرافية إیران الكاملة]، طهران: مديريّة البحوث والبرامج التعليميّة، 1366ش [1987م]؛ حدود العالم من المشرق إلى المغرب، ط. منوشهر ستوده، طهران 1340ش [1961م]؛ حمداده بن أبي بكر حمداده المستوفی، کتاب نزهه القلوب، ط. غی لسترنج، لیدن 1915م؛ ط. اویست طهران 1362ش [1983م]؛ حسینعلی رزم آرا، فرهنگ جغرافیائی ایران (آبادیها)، ج 9، استان هم (حراسان) [معجم إیران الجغرافيّ (البلدات)، مج 9، الإقليم التاسع (حراسان)]، طهران 1355ش [1976م]، المديريّة الجغرافية للقوّات المسلّحة في

الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانية، فرهنگ جغرافيّاتی آبادیها کشور جمهوری اسلامی ایران،  
ج 32: مشهد [المعجم الجغرافيّ لمدن وبلدات الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانية، مجل 32:  
مشهد]، طهران 1368 ش [1989م]؛ مسعود کیهان، جغرافيّاتی مفصل ایران [جغرافيّة  
ایران المفصلة]، طهران 1310 - 1311 ش [1932 - 1931م]؛ مشهد [خریطة]، طهران:  
المديريّة الجغرافيّة للقوّات المسلّحة في الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانية، 1370 ش [1991م]؛  
نقشهٌ ژئومرفولژی جمهوری اسلامی ایران [خریطة جیومورفولوژیّهّ] [على شکاله الأرض]  
لجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانية]، طهران: المديريّة الجغرافيّة للقوّات المسلّحة، 1370 ش  
[1991م]؛ نقشهٌ طبیعی وسیاسی جمهوری اسلامی ایران [الخریطة الطبیعیّة والسیاسیّة]  
لجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانية]، طهران: المديريّة الجغرافيّة للقوّات المسلّحة، 1370 ش  
[1991م]؛

## أجنبي ..

## مِعْصُومَةُ بَادْنَج /

بيهق، بلدة، وناحية، وولاية قديمة في نيسابور (أَبْرَشَهْر)، وهي اليوم أحد أقضية محافظة سبزوار. حظيت بيهق بأهمية فائقة لقرون متعددة لأسباب عدّة، منها موقعها على رأس الطريق الرئيسي الرّيّ - نيسابور (ابن رسته، ص 169 - 171؛ ابن خرداذبة، ص 22 - 24)، ولأنّها أخرجت من لا يُحصى من الفضلاء والعلماء والأدباء، ولأنّها كانت مركزاً من مراكز التشيع في إيران (ياقوت الحموي، مجلد 1، ص 804).

نقل مؤلّف تاريخ بيهق في شرحه للاسم يبيّن عدّة وجهات نظر، منها أنَّ البعض عدّها يعني "أجود ناحية" من نواحي نيسابور، وقال آخرون إنَّ الاسم مشتقٌ من اسم شخص يُدعى بيهه، بني قرية بيهه في عصر بھمن الملك، وقد بقيت آثار هذه القرية وسورها إلى (القرن السادس الهجري) عصر المؤلّف (علي البيهقي، ص 33). هذا التوضيح مشكوك في صحته، وقد تبَّنَّ الجغرافيون والمؤلّفون اللاحقون الرأيَ الأول، وذكروه في آثارهم (من بينهم ياقوت الحمويّ، م. ن، ص. ن؛ حافظ أبُرُو، ص 50؛ ومن المؤلّفين المعاصرين ← توماشك<sup>1</sup>، ص 636).

---

<sup>1</sup> - Tomaschek

على الرّغم من أنَّ بيهق تقع في منطقة أَبْرَشَهُر القديمة، التي كانت عامرة، على الأقلّ منذ عصر البارثين (← ماركوارت، ص 150)، لا تتوافر معلومات حول تاريخها قبل الإسلام على نحو محدّد. ينسب حافظ أَبْرُو في رواية له (م. ن، ص. ن) بناء قلعة خسروجرد (التي كانت في عصره قريةً من قرى بيهق) إلى كيحسرو.

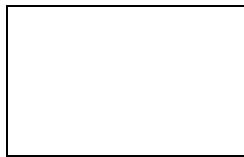
لحق بيهق على مَرِّ العصور تغيير من حيث مساحتها وحدودُها. ففي أوائل القرن الثالث الهجريّ في عهد عبد الله بن طاهر (213-230هـ)، كانت ناحية بيهق تضمّ اثنتي عشر قسماً (ربعاً): أعلى الرستاق (يضمّ قرية بيهق)، وقصبة سبزوار، وطبس، وزميج، وخواشد، ووريان، وخسروجرد، وباشتين، وديوره، وكاه، ومزينان، وفريومد، وبشاکوه (علي البيهقيّ، ص 34-39). كانت بيهق في ذلك الحين تضمّ 395 قريةً، كان من بينها 321 قريةً، الخراج الذي تؤديه كعشريةً (ضريبة) يبلغ 796' 178 درهماً، و 74 قريةً خراجها 800' 57 درهم (م. ن، ص 34). في القرن السابع الهجريّ انخفض عدد القرى إلى 321 قريةً (ياقوت الحمويّ، م. ن، ص. ن)، وفي القرن الثامن الهجريّ انخفض إلى 40 قريةً (حمد الله المستوفىّ، ص 149-150)، وكانت قصباتها (مراكزها) خسروجرد (أبو الفداء، ص 442). آتىبيهق معتدلة المناخ، واسعة الأسواق، وافرة الغلال، قليلة الثمار (حمد الله المستوفىّ، ص 444هـ). في العام 464هـ، ضرب بيهق زلزال قويًّا أَلْحَقَ بها أضراراً فادحة (علي البيهقيّ، ص 52). في العام 490هـ، هُدِّمَ من جديد بأمرٍ من إرسلان أرغون بن ألب إرسلان (م. ن، ص 53).

يبدو أنَّ أول من وصف بيهق بأنَّها ولاية هو حمد الله المستوفىّ (ص 149) في القرن الثامن الهجريّ. وفي القرن نفسه ضرب السربداران السكّة الخاصة بهم في سبزوار (سميت، ص 75).

تقول الرواية التاريخية الأقدم المتعلقة بيهق، أنَّ يزدجرد آخر الملوك الساسانيين، قد توقف فيها في العام 28هـ (علي البيهقيّ، ص 26). في العام 30 أو 31هـ فتح المسلمون بيهق (البلاذرىّ، ص 403-404؛ الطبرىّ، مج 4، ص 302؛ ابن الأثير، مج 3، ص 124؛ علي البيهقيّ، ص 25-26).

تَكَوَّنت عائلة سادات بيهق، في القرن الثالث الهجريّ، بعد أنْ هاجر إليها عددٌ كبيرٌ من السادات العلوّين، الذين تربطهم صلة نسب بالطاهريين، من ناحية الأمّ (علي البيهقيّ، ص

54-56)، وتحولت بيهق تالياً إلى مركز التشييع، وقد وصف عبد الجليل القزويني في القرن السادس الهجري مدينة سبزوار، بأنها من المدن الشيعية (ص 202)، وكانت كذلك في القرون اللاحقة (← حمد الله المستوفى، ص 150؛ حافظ أبرو؛ ياقوت الحموي، م. ن، صص. ن). في الوقت عينه، ينسب إليها الكثير من العلماء، لا سيما الشافعيين (الأسنوي، مج 1، ص 99، 117، 120؛ وتنمية المقالة).



مؤسسة الطبوغرافية

خريطة بيهق التاريخية

لم تبق بيهق بمنأى عن الاضطرابات المذهبية التي حدثت في خراسان. ففي فتنة الخوارج في العام 213هـ، بقيادة حمزة بن آذرك قتلت أعداد غفيرة في مختلف أنحاء بيهق، لا سيما في شِشتمَد وسبزوار، وتعرّضت المنطقة للكثير من الخراب (علي البيهقي، ص 44-45). كذلك في العام 489هـ، في أثناء المعارك التي دارت بين أهالي بيهق والكراميين، تعرض أهالي المنطقة لأضرار فادحة (م. ن، ص 269). ومنذ أواخر القرن الخامس الهجري تحولت بيهق إلى ساحة هجوم الإسماعيليين النزاريين (ابن الأثير، مج 10، ص 392). في العام 520هـ أرسل السلطان سنجر جيشاً إلى بيهق للقضاء على الإسماعيليين (م. ن، مج 10، ص 631). في القرن السادس الهجري في المعارك التي دارت بين السلالحة والغزنويين تعرضت بيهق مرات عدّة للاجتياح والخراب (م. ن، مج 11، ص 88، 232؛ علي البيهقي، ص 271-272). في أثناء الاجتياح المغولي أصاب بيهق ما أصاب غيرها من القصبات والمدن في خراسان من تدمير وخراب (الجويني، مج 1، ص 118؛ وصف الحضرة، ص 323). كانت ولاية بيهق في النصف الثاني من القرن الثامن الهجري ضمن منطقة حكم السرداران، ولما استعان آخر الأمراء السرداريين، عليّ بن المؤيد (766-788هـ)، بالأمير تيمور، ضُمّت هذه الولاية إلى منطقة حكم تيمور؛ إلى أن تعرّضت بمدينة سبزوار في فتنة العام 785هـ إلى الكثير من الدمار والمحازر الرهيبة التي أوقعها بها تيمور (بطرس شفسكي، ص 93، 95-96؛ ميرخواند، القسم 6، ص 1037-1040؛ أيضاً ← سبزوار\*).

في العصر الصفوي، أُعيد إعمار مدينة سبزوار أكبر مدن ناحية بيهق وأهمها، ورُممَت وازدهرت ازدهاراً كبيراً (دائرة المعارف الفارسية، مادة "سبزوار")، ويبدو أنَّ اسم سبزوار أُطلق على ناحية بيهق القديمة منذ ذلك الحين (← سبزوار\*).

من علماء بيهق وأدبائها المعروفيين الجديرين بالذكر، أبو الحسن محمد بن شعيب البهقي (المتوفى سنة 324هـ) الفقيه والمفتى الشافعى؛ وأبو بكر أحمد بن الحسين البهقي (384-458هـ) الفقيه الشافعى؛ وأبو عبدالله محمد بن يحيى (المقتولى حوالي العام 432هـ)، الفقيه الإمامى، جد ابن الشجري لأمّه؛ وأبو الفضل محمد بن الحسين البهقي (385-470هـ)، المؤرّخ، مؤلّف تاریخ البهقي؛ وأحمد بن علي البهقي المعروف بلقب بو جعفرك (470-544هـ)، اللغوي، مؤلّف تاج المصادر؛ وأبو الحسن (ظهير الدين) علي البهقي المعروف باسم ابن فندق (493-565هـ)، مؤلّف كتاب تاریخ بيهق، الذي دون فيه تفاصيل كثيرة حول تاريخها (الآغا بزرك الطهراني، طبقات: الناس، ص 38، الثقات العيون، ص 36، الأنوار الساطعة، ص 166-167؛ السمعانى، مج 1، ص 438-439؛ للاطلاع على فهرس مفصل ← علي البهقي، أماكن متعددة).

هناك آثار باقية من عصر ازدهار بيهق، لا تزال موجودة في سبزوار والقرى والبلدات التي كانت من قبل ضمن منطقة بيهق (← محمود البهقي، أماكن مختلفة؛ جغرافية إيران الكاملة، مج 1، ص 628).

اليوم يُطلق اسم بيهق على قضاء مرکزه شِشْتَمَد في ناحية شِشْتَمَد من محافظة سبزوار.

المصادر والمراجع: محمد محسن الآغا بزرك الطهراني، طبقات أعلام الشيعة: الناس في القرن الخامس، ط. علي نقى المنزوى، بيروت 1391هـ/1971م؛ م. ن: الثقات العيون في السادس القرون، ط. علي نقى المنزوى، بيروت 1392هـ/1972م؛ م. ن: الأنوار الساطعة في المائة السابعة، ط. علي نقى المنزوى، بيروت 1972م؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، بيروت 1399هـ/1979-1982م؛ ابن خردادبة، كتاب المسالك والممالك، ط. دخويه، ليدن 1967م؛ إسماعيل بن علي أبو الفداء، كتاب تقويم البلدان، ط. رينود وديسان، باريس 1967م؛ جان مسن سميت، خروج وعروج سربداران، ترجمة بالفارسية يعقوب آجند، طهران 1361ش [1982م]؛ عبد الرحيم بن الحسن الأسنوي، طبقات الشافعية، ط. كمال يوسف الحوت، بيروت 1407هـ/1987م؛ إيران. وزارة الداخلية. المعاونية السياسية

والاجتماعية. مكتب التقسيمات الإدارية، سازمان تقسيمات کشوری جمهوری اسلامی ایران [مدیریّة التقسيمات الإدارية في الجمهورية الإسلامية الإيرانية]، طهران 1377ش [1998م]؛ أحمد بن يحيى البلاذري، كتاب فتح البلدان، ط. دخويه، في الجغرافيا الإسلامية، مجل 42، فرانکفورت 1413هـ/1992م؛ عليّ بن زيد البیهقی، تاريخ بیهق، ط. أحمد همنیار، طهران 1345ش [1966م]، ط. أوفست طهران 1361ش [1982م]؛ محمد البیهقی، سبزوار شهر دیرینه های پایدار [سبزوار مدينة الماضي العريق]، مشهد 1370ش [1991م]؛ ایلیسا بافلوفیتش بطروفسکی، نحضرت سربداران خراسان [انتفاضة السربداران في خراسان]، ترجمه بالفارسیّة کریم کشاورز، طهران 1351ش [1972م]؛ جغرافیای کامل ایران [جغرافية إیران الكاملة]، طهران: مدیریّة البحوث والبرامج التعليمیّة، 1366ش [1987م]؛ عطاءالملک بن محمد الجوینی، كتاب تاریخ جهانگشای [تاریخ فتح العالم]، ط. محمد بن عبد الوهاب القزوینی، لیدن 1911-1937م، ط. أوفست طهران [لا تا]؛ عبدالله بن لطف الله حافظ أبرو، جغرافیای تاریخی خراسان در تاریخ حافظ أبرو [جغرافية خراسان التاریخیة في تاریخ حافظ أبرو]، ط. غلامرضا ورهرام، طهران 1370ش [1991م]؛ حمدالله بن أبي بکر حمدالله المستوفی، كتاب نرھة القلوب، ط. غی لسترنج، لیدن 1915م، ط. أوفست طهران 1362ش [1983م]؛ دائرة المعارف الفارسیة، بإشراف غلامحسین مصاحب، طهران 1345-1374ش [1985-1966م]؛ عبدالکریم بن محمد السمعانی، الأنساب، ط. عبدالله عمر البارودی، بيروت 1408هـ/1988م؛ محمد بن جریر الطبری، تاریخ الطبری؛ تاریخ الأمم والملوک، ط. محمد أبو الفضل إبراهیم، بيروت 1382-1387هـ/1962-1967م؛ عبدالجیل القزوینی، النقض، ط. جلال الدین الحدث الأرمومی، طهران 1358ش [1979م]؛ جوزیف مارکوارت، ایرانشهر: برمنای جغرافیای موسی خورنی [ایرانشهر: على أساس جغرافية موسى خورنی]، ترجمه بالفارسیّة مریم میر احمدی، طهران 1373ش [1994م]؛ محمد بن خاوندشاھ میرخواند، روضۃ الصفاء، التنقیح والتلخیص لعیاں زریاب، طهران 1373ش [1994م]؛ عبدالله بن فضل الله وصاف الحضرۃ، تحریر تاریخ وصاف، بقلم عبدالحمد آیتی، طهران 1346ش [1967م]؛ یاقوت الحموی، معجم البلدان، ط. فردیناند ووستنفلد، لایزیغ 1866-1873م، ط. أوفست، طهران 1965ش؛

بيوتات السلطنة. مؤسسات تقدم الخدمات لجهاز الحكم السلطانيّ [الملكيّ]. استُخدمت أحياناً كلماتٌ أخرى مرادفةً لكلمة البيوتات مثل كارحانة [دار العمل]، وأسباب واثاثه سلطنت [تجهيزات السلطنة]. كما أنَّ اللاحقة خانة التي شكّلت جزءاً من أسماء عدد كبير من المؤسسات مثل توب خانة [مركز المدفعية]، وفراشخانه [دار الفرش]، دليل على صلة تلك المؤسسات بالبيوتات. فضلاً عن ذلك، يمكن العثور على الكثير من المرادفات الأخرى، بدليلاً من البيوتات أو اللاحقة خانة [البيت، الدار]، مثل الخزانة في خزانة الفرش بدلًا من فراشخانه [دار الفرش]، وخزانة الشراب بدلًا من ضرايخانه [دار الشراب] (المقريزي، مـج 1، ص 408)، ولفظة دار في دار الضرب بدلًا من ضرايخانة، وحتى لفظة المجلس في "مجلس البناء والمرمة [الترميم]" بدلًا من بناخانة\*.

تشمل البيوتات مؤسسات متنوعة، مثل آبدارخانة [دار المسقاية= المسقاة]، وفراشخانة [دار الفرش]، وخياطخانة [دار الخياطة]، وغيرها، التي لها كُلُّها طابع معيشيّ وخدماتيّ؛ توبحانة [مركز المدفعية]، وقورخانة [دار السلاح]، واسلحه خانة [دار الأسلحة]، التي لها طابع عسكريّ. شُرُّبافخانة [دار حيَاكَة الشَّعْر]، التي لها طابع صناعيّ؛ طشتخانة [دار الآنية]، إدارة مهمّتها تنفيذ المراسم الاحتفالية؛ كذلك لفظة ضرايخانه [دار الضرب]، ولفظة الخزانة، المرتبطان بالشؤون المالية، وغير ذلك من المؤسسات التي تتولّى تأمين متطلبات السلطة الحاكمة. يعود استخدام لفظة البيوتات بهذا التوسيع إلى العصر الصفويّ (906-1135هـ) (← تتمّة المقالة؛ الميرزا سمِيعاً، ص 28-34؛ كمبفر، ص 145-155).

ليس واضحًا كما يجب، متى كان استخدام هذا المصطلح للمرّة الأولى. بمعنى المؤسسة الإداريّة [أو المديريّة]. ففي المصادر الإسلامية أنَّ عبارة "أهُل الْبَيْوَاتِ" في المحاورة، استُخدمت منذ العصر الساسانيّ (226-651) (البَلَادُرِيُّ، ص 284-549؛ الطَّبَرِيُّ، السلسلة الثانية، ص 858، 860، 866، 1046)، ويبدو أنَّ المقصود بها السلالات القديمة، أو العائلات السبع، التي كانت تتولّى في الدولة الساسانية رئاسة الدُّوَوَّاين، أو بعبارة أخرى مدريّات ذلك الزمان (كريستن سن، ص 130-131؛ أيضًا ← سامي، مـج 2، ص 46-47). ورد في المصادر كذلك عبارة "بَيْوَاتُ الْأَمْوَالِ" (البَلَادُرِيُّ، ص 414؛ الطَّبَرِيُّ، السلسلة الثانية، ص 873)، والمقصود بها على الأرجح بيت المال. هنالك شواهد على استخدام لفظة

البيوتات وأهل البيوتات بمعنى العوائل الكبيرة والعرية في مصادر القرون الخامس والسادس والسابع الهجريّة أيضًا (ابن إسفنديار، مح 1، ص 23؛ ميهني، ص 119؛ بهاء الدين البغداديّ، ص 122؛ ناصر الدين المنشيّ الكرمانيّ، ص 4). مع ذلك يبدو من خلال مصادر القرن السابع الهجريّ، أنَّ لفظة البيوتات قد أطلقت أيضًا على المؤسّسات الخدماتيّة في السلطنة [الملكة] (تاریخ شاهی قراختائیان [تاریخ القراءحطائین الملکیّ]، ص 58، 185).

يمكن العثور على أول استخدام لكلمة البيوتات بمعنى المؤسّسات الخدماتيّة في جهاز السلطنة الحكوميّ، في مصادر العصر السلاجوقى (429-590هـ)، وبالأخصّ العصر السلاجوقى الثاني (470-700هـ) (ابن بي بي، ص 10، 12، 71). في أواخر عصر الخواز مشاهيّين (490-628هـ)، استُخدمت لفظة البيوتات بهذا المعنى أيضًا (النسويّ، ص 254). لكنْ في عصر الإيلخانيّين المغول (654-754هـ)، استُخدمت لفظة "كارخانة" [دار العمل] بدلاً من بيوتات (رشيد الدين فضل الله، مح 2، ص 1049، 1135، 1351، 1511؛ شمس المنشيّ، مح 2، ص 77، 83، 88)، ويبدو أنَّ لفظة كارخانجات [جمع كارخانة بالفارسيّة = دور العمل] كانت تُطلق على البيوتات التي لها طابع إنتاجيّ. حسب شمس المنشيّ الـ "كارخانة" [دار العمل] ديوانًا من الدواوين (مح 2، ص 77)، وهذا السبب ربما عدَّ بعض المؤلّفين البيوتات مديرية من مديريّات ديوان السلطنة وفرعًا من فروعه، وذكروا مؤسّسات البيوتات مثل طشتخانة [دار الأواني]، وفراشخانة [دار الفرش أو دار الأثاث] وغيرها كمؤسّسات موازية للبيوتات، وليس كمؤسّسات تابعة لها (بيان، ص 178). مع ذلك، لا يمكن عدَّ مؤسّساتٍ كطشتخانة وفراشخانة مؤسّسات موازية للبيوتات، وإنما فروع منها. يعتقد هو فمان أنَّ كلمة "أردو بازار" التي استُعملت منذ عصر المغول اسمًا ل بلاط المغول المتنقل، كانت بمنزلة البيوتات، وظلَّ ذلك ساريًّا في عصور التيموريّين والآق قوينلو والقراقوينلو أيضًا (إيرانيكا، المادة نفسها).

في عصر التيموريّين (771-912هـ) كانت اللفظة الشائعة لهذا المعنى هي لفظة كارخانة [دار العمل] (تيمور الغور كانيّ، ص 196، 200، 210، 216)، ونصادف للمرة الأولى لقب "وزير كارخانه های سلطنت" [وزير دور العمل السلطانية]، لقب رابع الوزراء في جهاز الحكم التيموريّ، ومراقب المداخيل والنفقات، والجهاز الماليّ، والخزانة، والإصطبل الملكيّ (م. ن، ص 304).

يقول هوفمان، إنَّ ال "أردو بازار" قد فقد أهميَّته منذ العصر الصفوي، وأسست البيوتات (إيرانيكا، م. ن، ص. ن). لكنَّ على أساس الشواهد المتوفَّرة، هذا الكلام لا ييدو صحيحاً. ففي تلك الآونة كانت مؤسَّسة ال "أردو بازار" [البلاط السيَّار] تؤدي غالباً خدمات للجيش. توسيَّت البيوتات جدًّا في عصر الشاه عباس الأوَّل (1038-996هـ)، وباتت في ذلك العصر تضمُّ العديد من المؤسَّسات، وأعدادها المذكورة في المصادر متغيرة، فهي 33 كارخانة (نصيري، ص 21؛ مينورسكي، ص 123) و 50 كارخانة (كمبفر، ص 145) و 32 كارخانة (شاردن، مج 4، ص 1420). يرى شاردن أنَّ متوسَّط عدد العاملين في كل دار من هذه الدور كان 150 عاملًا. ويقول إنَّ نفقات دور العمل الملكيَّة الـ 32 قد تجاوزت الخمسة ملايين إاكو (350,000 تومان) (م. ن، مج 4، ص 1421؛ إيرانيكا، م. ن، ص. ن). لم تكن أجور العمال ثابتة، وكلَّ ثلث سنوات يتناقضون زيادة على رواتبهم (لمزيد من التوضيح ← شاردن، مج 4، ص 1421-1422؛ إيرانيكا، م. ن، ص. ن). يقول هوفمان إنَّ عدد العاملين في البيوتات السلطانية كان خمسة آلاف (إيرانيكا، م. ن، ص. ن)، يتلقَّون رواتبهم بواسطة الحوالة (برات) (شاردن، مج 3، ص 1305).

في ذلك العصر كانت هنالك مناصب عديدة يتولاُّها القَيْمُون على أمور البيوتات، أرفعها كما ييدو منصب نظارة البيوتات، الذي كان صاحبه يحمل لقب عالي الجاه المقرب الحاقداني، وكما ذكر نصيري كان "عمله خطيرًا جدًّا". وكان موضع ثقة الشاه وكانت أسراره، يقوم يوميًّا بدراسة برامج عمل البيوتات المقدمة إلى الحكومة، ويهُرُّ بالخاتم، ويتحقق من التقارير المتعلقة بدور العمل، كما يراقب عمل صاحب الجَمْع (← تتمَّة المقالة) في ديوان الضرائب، ويدفع المستحقَّات، ويوظِّف العاملين في البيوتات (نصيري، ص 20، 22، 24، 26؛ أيضًا ← الميرزا سمِيعاً، ص 9-12).

كان ناظر البيوتات يتناقضى راتبًا ومداخيل أخرى مجموعها سنويًّا ستة آلاف تومان (نصيري، ص 21). يأتي من بعده في الأهميَّة منصب وزارة البيوتات. كانت مهمَّة وزير البيوتات دراسة برامج عمل البيوتات يوميًّا، وتوقيعه، ومن ثم تحويله إلى ناظر البيوتات ليمهره بالخاتم. وكان كذلك يقوم بمراقبة حسابات كل أصحاب الجَمْع، والعاملين في البيوتات، ونفقات دور العمل الملكيَّة (م. ن، ص 65). وكان يتولَّ تسجيل جميع النفقات التي نالت موافقة الناظر، ويضبطها، ويدقق بأثمان بعض السلع التي كانت تُشترى للبلاط (الميرزا سمِيعاً، ص 34-35). كان يتناقضى ثمانين تومانًا راتبًا، وحصة غذائيَّة يوميَّة مقدارها ألف دينار،

وتعويضاً سنوياً يبلغ 36 توماناً؛ فضلاً عن ذلك كانت تعود إليه مبالغ أخرى تخرج من نفقات البيوتات (نصيري، م. ن، ص. ن).

صاحب المنصب الآخر المهم، هو صاحب جمْع البيوتات. ففي جهاز الحكم الصفوي، كان لكل واحد من البيوتات صاحب جمْع خاص به، يتولى شؤون دار العمل هذا، وكان بعض أصحاب هذا المنصب يحملون لقب المقرب الحاقاني. كان أصحاب الجموع يحملون إلى ناظر البيوتات الحاجات المالية لدور العمل مكتوبة - بعد أن تكون قد نالت موافقة المشرفين -. تحوّل هذه الوثيقة الخطية بعد أن يدرسها وزير البيوتات ويسجّل ملاحظاته عليها، ليوقعها وزير الديوان الأعلى، وكان صاحب الجمْع على أساس هذا السندي، يكتب قُبِضَ، ويتلقّى المبلغ المطلوب (ميرزا سمِيعاً، ص 28-34). في ذلك الحين كان المكتب المالي يتَّلَّفُ من ثلاثة أقسام، أحدها متعلق بالبيوتات (بوسه، ص 139). كان يتوجّب على المشرف على البيوتات أيضًا، أنْ يسجّل يوميًّا إضبارات ومستندات دور العمل الملكية، ويطلب الوثائق الالزامية من أصحاب الجموع وجامعي الضرائب، ويوصل المستندات هذه إلى المسؤولين الأرفع لتوقيعها (ميرزا سمِيعاً، ص 35).

في عصر نادر شاه (1148-1160هـ)، ذُكرت أحياناً أسماء البيوتات أيضًا (المروري، مج 1، ص 112)، إنما ييدو أنَّ لفظة كارخانة هي التي كانت متداولة (م. ن، مج 1، ص 407، مج 2، ص 457، 739، 866)، ولم تكن البيوتات بالاتساع الذي كانت عليه من قبل، لأنَّ نادر ألغى بعض المناصب (م. ن، مج 2، ص 457). في عصر الزندية (1163-1209هـ) استُخدمت لفظة كارخانة على نحو أوسع (نامي الإصفهاني، ص 11، 156؛ غلستانة، ص 16، 21، 33، 38، 41، 54).

في العصر القاجاري (1209-1344هـ) كانت توجد مؤسسة اسمها وزارة البيوتات، واللافت أنَّ هذه الوزارة، كانت تُحسب من ضمن الوزارات والمديريات الحكومية، وليسَت مؤسسة ملكية (سبهر، ص 45)، وبعض المؤسسات التي كانت من قبل جزءاً من البيوتات، ذُكرت منفصلة في فهرس المديريات السلطانية الخاصة (م. ن، ص 44-45). مع ذلك، سُمِّيَ المستوفي (مج 1، ص 380-421) عدداً كبيراً من هذه المؤسسات تحت عنوان البيوتات، وشرح كلَّ ما يتعلّق بها. يقول إنَّ مديريات الشؤون الشخصية للشاه، التي كانت تنتهي باللاحقة خانة، كانت بمصطلح البلاط القديم، تُسمى بيوتات، علمًا أنَّ بعض هذه البيوتات كان حكوميًّا، وبعضها نصف حكوميٍّ ونصف شخصيٍّ (م. ن، مج 1، ص 380). يقول

كذلك إنَّ مركز جميع البيوتات كان "خلوة" الشاه، وكان رؤساء البيوتات والعاملين فيها، وخدم الخلوات والفرّاشين يُحسبون جزءاً منها، وكان وزير البلاط (وزير الحضور) في ذلك الحين يُعدُّ، إلى حدٍ ما، رئيس كلّ بيوت السلطنة (المستوفى، مجلَّة 1، ص 389-390)، وعملياً رئيسة العاملين في "الخلوة" كانت في عهدة الشاه.

تدلّ شواهد استخدام لفظة البيوتات في مصر والشام والهند، كفراشخانة [دور الأثاث] وتشتخانة [دور الأواني]، على أنَّ إنشاء هذه المؤسّسات متأثِّر بإيران. اللافت أنَّ ابن الممّاتي (القرنان السادس والسابع الهجريان) عدَّ البيوت هي نفسها الحوايجخانة [دار الحوائج] (ص 354). كانت تستخدم في مصر والشام مصطلحات مثل شرابخانة [دور الشراب]، وفراشخانة [دور الأثاث]، وتشتخانة [دور الأواني] في القرن الثامن الهجري، وذُكر أستادار [الأسطadar] بصفته رئيس هذه المؤسّسات (العمري، ص 134-135). تطرّق ابن شاهين أيضاً إلى شرح البيوتات، وسمّي الشرابخانة، والتشتخانة، فراشخانة كمؤسّسات مستقلة (ص 124). يبدو أنَّ منصب "نظر البيوت والحاشية" (ابن كنان، ص 175) هو نفسه "ناظر البيوت والحاشية" الذي أشار إليه القلقشندى (القلقشندى، الفهرس، ص 434). يقول البقليّ (ص 342)، إنَّ هذا المنصب كان يُحسب من ضمن الوظائف الديوانية، وكان صاحبه يتولّ إدارة بيوتات السلطان، والمطبخ ودار الشراب، والغلمان. في المتناول شواهد على استخدام مصطلح البيوتات في الشام في القرنين الحادى عشر والثانى عشر الهجريين (ابن كنان، ص 121)، وكان المتصدّى لهذا العمل يُسمّى أستادار [الأسطadar] (م. ن، ص 120، الحاشية 1). في الهند في عصر الغوركانيين (932-1274هـ) استُخدم أيضاً مصطلح البيوتات، وأحياناً مصطلح كارخانة بمعنى نفسه (برى، ص 135؛ بختاورخان، مجلَّة 1، ص 123، 142، 146). في المعاجم الأرديّة، استُخدمت لفظة البيوتات بمعنى البلاط (الرضوي؛ الدهلوى، مادة "بيوتات").

**المصادر والمراجع:** ابن إسفنديار، تاريخ طبرستان، ط. عباس إقبال، طهران [تاريخ المقدمة 1320ش [1941م]]؛ ابن بي بي، أخبار سلاجقة الروم، ط. محمد جواد مشكور، طهران 1350ش [1971م]؛ ابن شاهين، كتاب زبدة كشف الممالك، ط. فؤاد سزغين، في الجغرافيا الإسلامية، مجلَّة 79، فرانكفورت 1413هـ/1993م؛ ابن كنان، حدائق الياسمين في ذكر قوانين الخلفاء والسلطانين، ط. عباس صباغ، بيروت 1412هـ/1991م؛ ابن مماتي، كتاب قوانين الدواوين، ط. عزيز سوريال عطية، القاهرة 1411هـ/1991م؛ محمد

بختاورخان، مرآة العالم: تاريخ اونغ زیب، ط. ساجدة س. العلوی، لاهور 1979؛ ضیاء الدین البرنی، فتاوی جهانداری [فتاوی سلطان العالم]، ط. افسر سلیم خان، لاهور 1972؛ محمد قندیل البقلی، التعريف بمصطلحات صبح الأعشی، مصر 1984؛ احمد بن یحیی البلاذری، فتوح البلدان، ط. عبداللہ انسیس الطبّاع و عمر انسیس الطبّاع، بیروت 1407هـ/1987م؛ هریبرت بوشه، پژوهشی در تشکیلات دیوان اسلامی: بر مبنای اسناد دوران آق قوینلو و قراقوینلو و صفوی [دراسة حول المؤسسة الديوانية الإسلامية: على أساس وثائق عصور الآق قوينلو والقراقوينلو والصفويّ]، ترجمه بالفارسیّة غلامرضا ورهرام، طهران 1367ش [1988م]؛ محمد بن المؤید بهاءالدین البغدادی، التوسل إلى الترسّل، ط. احمد بهمنیار، طهران 1315ش [1936م]؛ شیرین البیانی، تاریخ آل جلایر، طهران 1345ش [1966م]؛ تاریخ شاهی قراختائیان [تاریخ القراخطاویین الملکی] مؤلف مجھول فی القرن السابع الهجری، ط. محمد ابراهیم الباستانی، طهران 1355ش [1976م]؛ تیمورغورکان، تزوکات تیموری [القوانین التیموریّة]، تحریر أبو طالب حسینی تربی بالفارسیّة، ط. اوفست طهران 1342ش [1963م]؛ غیاث الدین بن همام الدین خواندمیر، قانون همایون (همایون نامه)، ط. محمد هدایت حسین، کلکته 1359هـ/1940م؛ احمد الدھلوی، فرهنگ آصفیه [المعجم الآصفی]، لاهور 1986م؛ رشید الدین فضل اللہ، جامع التواریخ، ط. محمد روشن و مصطفی الموسوی، طهران 1373ش [1994م]؛ تصدق حسین رضوی، لغات کشوری اردو [الالفاظ الإداریة الاردیة]، کراتشی 1989م؛ علی سامی، تمدن ساسانی [الحضارة الساسانية]، شیراز 1342-1344ش [1963-1965م]؛ عبدالحسین بن هدایت اللہ سبھر، مرآت الواقع مظفری، و، یادداشتھای ملک المورخین [مرآة الحوادث المظفریة]، و، مذکرات ملک المؤرخین، ط. عبدالحسین نوائی، طهران 1368ش [1989م]؛ جان شاردن، سفرنامه شاردن [مدونة رحلة شاردن]، الترجمة الفارسیّة لاقبال یغمائی، طهران 1372-1375ش [1993-1996م]؛ محمد بن هندو شاھ شمس المنشی، دستور الكاتب في تعین المراتب، ط. عبد الكریم علی اوغلی علی زاده، موسکو 1964-1976م؛ محمد بن جریر الطبری، تاریخ الرسل والملوک، ط. دخویه، لیدن 1879-1901م؛ احمد بن یحیی العمری، التعريف بالمصطلح الشریف، ط. محمد حسین شمس الدین، بیروت 1408هـ/1988م؛ احمد بن علی القلقشندي، صبح الأعشی، القاهره [تاریخ المقدمة آرتو رامانوئیل کریستن سن، ایران در زمان 1383-1390هـ/1963-1970م]

ساسانيان [إيران في عصر الساسانيين]، ترجمه بالفارسية رشید یاسمی، طهران 1351ش [1972م]؛ انغلبرت کمبفر، سفرنامه کمبفر [مدونة رحلة کمبفر]، ترجمه بالفارسية کیکاووس جهانداری، طهران 1360ش [1981م]؛ أبو الحسن بن محمد أمین غلستانة، محمّل التواریخ، ط. مدرّس الرضوی، طهران 1356ش [1977م]؛ محمد کاظم المروی، عالم آرای نادری [صورة العالم في عصر نادر شاه]، ط. محمد أمین الرياحی، طهران 1364ش [1985م]؛ عبدالله المستوفی، شرح زندگانی من، يا، تاریخ اجتماعی واداری دوره قاجاریه [سیرتی الذاتیة، او، التاریخ الاجتماعي والإداري في العصر القاجاري]، طهران 1360ش [1981م]؛ أحمد بن علي المقریزی، كتاب الموعظ والاعتبار بذکر الخطط والآثار، المعروف بالخطط المقریزیة، بولاق 1270هـ، ط. أوفست القاهرة [لاتا.]؛ میرزا سمیعا، تذکرة الملوك، ط. محمد دبیر سیاقی، طهران 1368ش [1989م]؛ فلاڈیمیروفیتش مینورسکی، سازمان اداری حکومت صفوی، يا، تحقیقات وحواشی تعلیقات استاد مینورسکی بر تذکرة الملوك [التنظيم الإداري للدولة الصفویة، او، تحقیقات الأستاذ مینورسکی وحواشی تعلیقاته على تذکرة الملوك]، ترجمه بالفارسیة مسعود رجب نیا، طهران 1368ش [1989م]؛ محمد بن عبد الخالق المیهانی، دستور دبیری: متنی از قرن ششم هجری [القانون الإداری: نصّ من القرن السادس الهجري]، ط. علي الرضوی البهابادی، بزد 1375ش [1996م]؛ ناصرالدین منشی الكرمانی، سط العلی للحضرۃ العلیا، ط. عباس إقبال، طهران 1328ش [1949م]؛ محمد صادق نامی الإصفهانی، تاریخ گیتی گشا [تاریخ فتح العالم]، ط. سعید نفیسی، طهران 1366ش [1987م]؛ محمد بن أحمد النسوی، سیرة جلال الدین، او، التاریخ الجلالی، ترجمه من العربية بالفارسیة محمد علي ناصح، طهران [تاریخ المقدمة 1324ش [1945م]]؛ علي نقی نصیری، القاب ومواجب دوره سلاطین صفویه [الألقاب والرواتب في عصر الملوك الصفویین]، ط. یوسف رحیم لو، مشهد 1372ش [1993م]؛

... أجنبي...

/نادیا برغ نیسی/